

ولا صبا ولا تجري نسمة على الوهاد والرُّبى وأنى والشمس مصدر
الحركة في العوالم وقوام الحياة لكل قائم فاذا هبت الريح فالشمس هي
التي تهب واذا دبّت النعم فالشمس هي التي تدب واذا انتشر الغمام فهي
التي تنتشر واذا انهمرت الغيوث فهي التي تنهمر ألا والشمس هي التي
تجري في الانهار وهي التي تغرد في الاطيوار وهي التي ترهف في الرياض
وهي التي يُسمع حفيفها في الغياض وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات
وفؤادها واذا ماتت الاقعدة فمحال ان تعيش اجسادها

لا جرم ان الشمس ليست باول جذوة من نيران السماء ادركها
الجمود والانطفاء فكم من نجم نص المتقدمون على مكانه وموضعه اليوم
خال بل منها ما دلت الدلائل على وجوده وهو غير مرئي في حال وانما
الشمس من هذه النجوم فلا بد ان يدركها ما ادرك سواها اذا لم يفاجئها
مفاجئ من مثل ما ذكرنا في الارض يعجل منتهاها فانه لا دوام في
الخلق ولكن كل ما له اول له آخر ولو بعد حين وانما البقاء لله تقدست
اسماؤه وهو وارث العالمين

ثم على فرض حدوث هذا الملتقى بين الارض والمذنب المذكور فان الخطر انما
يكون اذا وقعت المصادمة بين الارض ونواة المذنب وهذا من الدور والاستبعاد
بحيث لا يستحق ان يُبنى عليه حذر وهو من الحوادث التي لم تقع في تاريخ الارض
لا بعد وجود الانسان ولا قبله لانه لو وقع شيء من مثل ذلك لدلت عليه الآثار
الجيولوجية ولكن جل ما يتوقع حدوثه من ذلك ان تحترق الارض ذنب النجم كما
حدث في ٣٠ يونيو سنة ١٨٦١ على ما يرجحه اكثر العلماء ولكن ذلك لم يشعر به
احد ولم يعلم مرور الارض فيه الا بعد خروجها منه

الروايات والروائيون

لحضرة الكاتب البارع سليم افندي الخوري

لا يخفى ما لأُم اوريا على العموم من الشغف بامر الروايات ولا سيما
التمثيلية منها لما فيها من الحكمة في تهذيب الاخلاق وتنوير الازهان وما
تنطوي عليه من الحقائق تحت ثوب اللهو والفكاهة ولذلك اجمعت عقلاؤهم
على اعتبارها من اعظم اركان المدنية وتفرغ اهل الادب والشعر منهم
للاشتغال بها والتأليف فيها وربما دخل بعضهم في جملة ممثلها مما يدل على
شرف منزلتها عندهم وما ذلك الا لما رأوا بالاختبار من حسن نتائجها وما
لها من التأثير في اذهان العامة منهم وتنبيه الغافلين من الخاصة وارشاد الملوك
والعظماء الى ما يجب عليهم فعله بان يروهم العبرة في سواهم ويمثلوا لهم الحالة
التي هم فيها بهيئة تظهر لهم حسناتها من قبيحها وقد اتسع مجال هذا الفن
عندهم واصبح مستبقا لارباب الدكاء والالباب النيرة يتقنون في اساليبه
وتصوير الحوادث فيه على اوضح صورها واشدها تأثيرا في العقول حتى
اصبح من رؤوس الفنون الادبية واصبح اربابه في اعلى درجة من الحرمة
والتجلة وانظر الى ما كان من عهد قريب من اهتمام الامة الانكليزية
بمرض الكاتب الشهير المستر كبلنغ حتى كانت كأنها باسرها اعضاء جسم
واحد يتألم بألم ذلك المريض ويتربخ اخبار سلامته ثم ما كان من شيوع
امر مرضه في جميع اوريا واهتمام عظمائها به حتى تواتت الرسائل البرقية من
كل صوب في استطلاع انبائه والوقوف على كنه احواله بحيث كانوا وهم
على بعد اميال كثيرة كأنهم آذان صاغية الى ضربات قلبه المبشرة بقاء حياته

ولقد يعجب بعض الناس عندنا لسماعهم مثل ذلك ويستغربون هذا الاحتفال العظيم بامر هذا الرجل حالة كونه ليس من عظماء الارض وملوكها ولا من ساسة الممالك او مشاهير القواد ولا هو من علماء العصر وفلاسفته ولا من اصحاب الاختراعات والاكتشافات المهمة ولكن جل ما يقال عنه انه رجل من الكتاب قد اشتهر بتأليف الروايات يتفنن فيها بأساليب بلاغته ويزخر فيها بطلاوة الفاظه ولم يعرف بشيء من المباحث الجدلية كالحقائق العلمية او الصناعية او كشف شيء من المنافع الطبية او ما اشبه ذلك من الفوائد العائدة الى مصلحة المجتمع الانساني

نعم لا ينبغي ان الرجل ليس في شيء من تلك المناصب العالية ولا على شيء من هذه المباحث الخطيرة ولكن قيمة الانسان لا يُنظر اليها من وجه مخصوص والعلم لا يكون كله صنفاً واحداً ولا تقف الفائدة منه على مبحث معلوم . وهذا علم التاريخ مثلاً فانك اذا اعتبرته من حيث هو لم تجده الا اقصيص واخباراً لا يستفاد منها شيء من الامور المذكورة ولكنه مع ذلك معتبر من اجل العلوم النافعة بما يعطي من البصيرة في احوال الحياة والعبرة باحوال من مضى لان حوادث هذا الكون تتكرر على الغالب اذ « ليس تحت الشمس شيء جديد » . والروايات اذا نظرت اليها نظر المتبصر وتعقلت كنهها والغرض من وضعها وجدت انها لا تخرج عن غرض التاريخ نفسه الا انها تمثل لك الوقائع التاريخية بصورتها الحسية حتى تكون كأنك شاهد لها شهود العيان ولا يخفى ما في ذلك من قوة التأثير في مقام العبرة وفضل التمثيل الروائي على القصص التاريخي الذي كثيراً ما يبعث الملل

في نفس القارئ لما فيه من وحدة السياق وتوالي الاخبار مجردة عن الاشخاص القائمين بها وهيئات ان يقوم الخبر مقام العيان . ومثل ذلك مثل ما اذا اردت ان تشخص هيئة انسان لشخص لم يره فانك مهما وصفت له من حلاه واشكاله ولونه وملامح اعضائه لا يستطيع ان يتصوره ويستحضر هيئته في ذهنه كما لو ارثته صورة الشخص نفسه فان نظرة واحدة من تلك الصورة تكفي لتصوره وتشخيصه بما لا يصل اليه الوصف ولا تبلغه النعوت مهما كانت دقيقة

ولنضرب لذلك مثلاً رواية صلاح الدين الايوبي التي انشأها نابغة عصره وشكسبير الروايات العربية فقيدها هذا الفن المرحوم الشيخ نجيب الحداد فانك اذا حضرت حوادثها تشخص امامك على ساحة التمثيل ظهر امام عينيك الاشخاص الذين دارت تلك الحوادث بينهم فرأيتهم باشباحهم وحركاتهم وسمعت كلام كل منهم بلهجته الطبيعية وتجلت لك صفاتهم واخلاقهم بما يشعرك من نفسك بالتأثير الذي تشعر به لو كنت حاضراً بينهم حتى كأنهم احياء معك تسمع اقوالهم وتشاهد افعالهم وحتى ينتقل بك التصور الى ان تتوهم تلك الوقائع حقيقية تجري امامك ويبقى عنها في ذهنك خيال لا يمحي . وهذا كله لا يمكن ان تشعر به من مجرد مطالعة التاريخ مهما فصل لك المؤرخ واطال في الوصف فضلاً عما يعلق في ذهنك من العبر والحكم بما يمثّل امامك من الحركات والاقوال التي تصور لك الفضيلة والرزيلة والعدل والجور والوفاء والغدر والصدق والكذب الى غير ذلك من الحاصل بارزة كل واحدة منها في ثوب يحجبها الى المشاهدين ويرغبهم في

التزامها او يفضيها اليهم وينفهم من اتيانها . ولهذا المعنى كانت الروايات التمثيلية من انجع الوسائل وافعلها في تثقيف الاخلاق واصلاح العادات وتنوير العقول وحث النفوس على الكمالات الانسانية وهذا ما حدا الغربيين على اعتبار هذا الفن الجليل فرفعوا مناره وشرّفوا ذويه وكان مؤلف الروايات عندهم لا يخط عن مقام العالم والفيلسوف والمخترع والمكتشف بل قد يكون نفع بعض اهل العلم خاصاً بفريق من الناس حالة كون الروائي ينفع بتأليفه جميع الطبقات من خاصة الناس وعامةهم ولا يخفى ان العامة احوج الى من يفيدها ويهديها فقد تكون الروايات من هذا هذا الوجه اعظم فائدة من كتب العلم التي لا يتناول فوائدها الا اناس معدودون ممن تمكنهم احوالهم من الاقطاع للدرس والتعلم

ومن الغريب في هذا المقام ان نرى بعض الكتاب عندنا ممن يتوهمون في انفسهم الحكمة وسمو المدارك والاحاطة باطراف العلم والسياسة يطعنون في الروايات التمثيلية او كما يسمونها « الروايات التياترية » ثم لا يفهمون ذلك حتى يصفوها « بالسافلة » وهي اول مرة أطلق فيها هذا الوصف على هذا الفن الشريف مع ان الامم الغربية بالاجمال وفيها ملوكها وعظماءها وعلماءها وحكماءها وسياسيوها تحلها في ارفع مقام من مقامات المدنية والتهذيب ونرى من الذين اشتغلوا بها امثال شكسبير وموليبار وكرنيل وفولتير وراسين وهوغو وغيرهم من اهل هذه الطبقة . فما كان احوج اولئك الاقوام الى رجل من « الشرق » يأتيهم في هذه « الفترة من الزمن » فينير ظلمات عقولهم « بمصباح » افكاره الثاقبة وآدابه الصائبة بل ما احوجنا الى اناس يسعون

بيننا بالخير ويرشدون هذه الامة الى ما يلحقها بسائر امم العصر ولا يكونون عقبة في سبيل الساعين باصلاح شؤونها اصلح الله نياتنا وجمع قلوبنا على الاخلاص وكننا على الصدق والله حسبنا وهو الهادي الى سواء السبيل

✽ خواطر مستطرفة ✽

في الموسيقى

لحضرة الاديب المثقف نقولا افندي الحداد

(تمة ما في الاجزاء السابقة)

- ١١ -

اما الفرق بين الموسيقى العربية والافرنجية وايهما اشد اطراباً فما يصعب الحكم فيه اذ لا يخفى ان كل امة تلتذ بموسيقاها وتؤثرها على سواها وما دام الاستحسان راجعاً الى ذوق المستحسن والناس مختلفون في الاذواق فلا افضلية لواحدة على الاخرى . على انه وان لم تكن هناك افضلية باعتبار الاذواق فلكل موسيقى ما تمتاز به وللموسيقى العربية مزيتان لعلهما تجعلانها احسن وقعاً واشد تأثيراً

الاولى ان الالحان الافرنجية موقعة كلها على الدرجات الاصلية في السلم الموسيقي ويندر ان يعدل في لحن منها عن درجة اصلية الى اخرى فرعية اي الى شيء من الانصاف المخفوضة او المرفوعة ولا يحتاج الى الدرجات الفرعية عندهم الا لرفع السلم على الآلة اذا كان اللحن منخفضاً او خفضه اذا كان اللحن عالياً بحيث تصبح الفرعية اصلية . والغرض من ذلك